

الشيخ

عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله، والصَّلاةُ والسَّلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه.

أما بعد:

يتردَّد كثيرًا في مجالس النّاس هذه الأيام حديثٌ عن مرض يتخوَّفون منه ويخشون من انتشاره والإصابة به، بين حديث رجلٍ مُتَنَدِّرٍ مازح، أو رجلٍ مبيِّنٍ ناصح، أو غير ذلك من أغراض الأحاديث التي تدور حول هذا المرض. والواجب على المسلم في كلِّ حالٍ ووقت، ومع كلِّ نازلة ومصيبة أن يعتصم بالله جلَّ وعلا وأن يكون انطلاقه في الحديث عنها أو مداواتها أو معالجتها قائمًا على أسسٍ شرعيَّة وأصولٍ مرعيّة وخوفٍ من الله جلَّ وعلا ومراقبةٍ له.

وهـذه ستُ وقفات حول هـذا الموضوع الذي يشكِّلُ في حياة النَّاس هـذه الأيَّام أهمِّيةً بالغةً:

الوقفة الأولىٰ:

الواجب على كل مسلمٍ أن يكون في أحواله كلها معتصمًا بربِّه جلّ وعلا متوكِّلاً عليه معتقدًا أنّ الأمور كلّها بيده: ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللهِ وَمَن يُؤْمِن بِاللهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾ [التغابن:١١]، فالأمور كلُّها بيد الله وطوع تدبيره وتسخيره؛ فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ولا عاصم إلّا الله: ﴿قُلْ مَن ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُم مِّنَ اللهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً﴾ [الأحزاب:١٧]، ﴿إِنْ أَرَادَنِيَ اللهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ﴾ [الزمر:٣٨]، ﴿مَا يَفْتَحِ اللهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلا مُرْسِلَ لَهُ مِن بَعْدِهِ﴾ [فاطر:٠٢].

وفي الحديث: «وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَىٰ أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلاَّ بِشَيءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ، وَلَوِ اجْتَمَعُوا عَلَىٰ أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلاَّ بِشَيءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الأَقْلاَمُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ»، وفي الحديث: «كَتَبَ اللهُ مَقَادِيرَ الْخَلاَئِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ

بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ»، وفي الحديث: «إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللهُ الْقَلَمَ، فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ، قَالَ: رَبِّ وَمَاذَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبْ مَقَادِيرَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ تَقُومَ السَّاعَةُ».

فالواجب على كلّ مسلم أن يفوض أمره إلى الله راجيًا طامعًا معتمدًا متوكِّلاً، لا يرجو عافيته وشفاءه وسلامتَه إلَّا من ربِّه تبارك وتعالى، فلا تزيدُه الأحداثُ ولا يزيدُه حلول المصاب إلا التجاءً واعتصامًا بالله: ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِاللهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الأعراف:١٠١].

الوقفة الثَّانية:

إنّ الواجب على كلِّ مسلم أن يحفظ الله جلَّ وعلا بحفظِ طاعته امتثالاً للأوامر واجتنابًا للنواهي، قال ﷺ في وصيّته لابن عباس رضي الله عنهما: «احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ»؛ فالمحافظة على أوامر الله امتثالًا للمأمور وتركًا للمحظور سببٌ لوقاية العبد وسلامته وحفْظِ الله جلّ وعلا له في دنياه وأخراه، فإن أُصيب بمصيبة أو نزلت به ضرّاء فلن تكون إلاَّ رفعة له عند الله، وفي هـذا يقول نبيُّنا عليه الصَّلاة والسَّلام: «عَجَبًا لأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ،

وَلَيْسَ ذَاكَ لأَحَدٍ إِلاَّ لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ»؛ فالمؤمن في سرّائه وضرّائه وشدّته ورخائه من خيرٍ وإلى خيرٍ، وذلك كما قال نبيّنا عليه الصَّلاة والسَّلام: «**وَلَيْسَ ذَاكَ لأَحَدٍ إِلاَّ لِلْمُؤْمِنِ**».

الوقفة الثَّالثة:

إنَّ شريعة الإسلام جاءت ببذْل الأسباب والدَّعوة إلى التّداوي، وأنَّ التَّداوي والاستشفاء لا يتنافى مع التَّوكل على الله ﷻ.

والتَّداوي الذي جاءت به شريعةُ الإسلام يتناول نوعي الطّبّ: **الطّبّ الوِقائي** الذي يكون قبل نزول المرض، و**الطّبّ العِلاجي** الذي يكون بعد نزوله؛ وبكلٍّ ذلكم جاءت الشَّريعة، وجاء فيها أصول العلاج والشِّفاء، وأصول التّداوي، مما يحقّق للمسلم سلامةً وعافيةً في دنياه وأخراه، ومن يقرأ كتاب «**الطِّبّ النَّبوي**» للعلامة ابن القيم رحمه الله يجد في هـذا الباب عجبًا ممّا جاءت به شريعةُ الإسلام وصحَّ عن الرَّسول الكريم عليه الصَّلاة والسَّلام.

ففي مجال **الطب الوقائي** يقول نبيّنا عليه الصّلاة والسّلام: **«مَنِ اصْطَبَحَ بِسَبْعِ تَمَراتٍ عَجْوَةٍ لَمْ يَضُرَّهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ سُمٌّ وَلاَ سِحْرٌ»**، وجاء عنه ﷺ كما في حديث عثمان بن عفّان رضي الله عنه أن النَّبي ﷺ قال: **«مَا مِنْ عَبْدٍ يَقُولُ فِي صَبَاحِ كُلِّ يَوْمٍ وَمَسَاءِ كُلِّ لَيْلَةٍ: بِسْمِ اللهِ الَّذِى لاَ يَضُرُّ مَعَ اسْمِهِ شَيءٌ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاءِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ـ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ ـ فَيَضُرُّهُ شَيءٌ»**، وجاء عنه ﷺ أنّه قال: **«مَنْ قَرَأَ بِالآيَتَيْنِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ فِي لَيْلَةٍ كَفَتَاهُ»**، أي: من كلِّ آفةٍ وسوءٍ وشرٍّ، وجاء في حديث عبد الله بن خُبَيْب رضي الله عنه قال: خَرَجْنَا فِي لَيْلَةٍ مَطِيرَةٍ وَظُلْمَةٍ شَدِيدَةٍ نَطْلُبُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يُصَلِّي لَنَا ـ قال ـ فَأَدْرَكْتُهُ فقال: «**قُلْ**»، فَلَمْ أَقُلْ شَيْئًا ثُمَّ قال: «**قُلْ**»، فَلَمْ أَقُلْ شَيْئًا، قال: «**قُلْ**»، قُلْتُ: مَا أَقُولُ؟ قال: **«﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾، وَالْمعَوِّذَتَيْنِ حِينَ تُمْسِىٰ وَتُصْبِحُ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ تَكْفِيكَ مِنْ كُلِّ شَيءٍ»**، وجاء عنه عليه الصَّلاة والسَّلام كما في حديث عبد الله بن عمر أنّه كان لا يدع هـؤلاء الدّعوات حين يصبح وحين يمسي: **«اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَفْوَ**

وَالعَافِيَةَ فِي دِينِي وَدُنيَايَ وَأَهْلِي وَمَالِي، اللهمّ اسْترْ عَوْرَاتِي، وَآمِنْ رَوْعَاتِي، اللَّهُمَّ احْفَظْنِي مِنْ بَيْنِ يَدَيَّ وَمِنْ خَلْفِي وَعَنْ يَمِينِي وَعَنْ شِمَالِي وَمِنْ فَوْقِي وَأَعُوذُ بِعَظَمَتِكَ أَنْ أُغْتَالَ مِنْ تَحْتِي»؛ وفي هـذه الدّعوة تحصينٌ تامٌّ وحِفْظٌ كاملٌ للعبد من جميع جهاته.

وفي مجال **الطبِّ العِلاجيِّ** جاء عنه عليه الصَّلاة والسَّلام إرشادات عظيمة وتوجيهات كريمة وأَشْفِيَة متنوّعة جاءت مبيَّنةً في سنّته عليه الصَّلاة والسَّلام يطول المقامُ بذكرها أو الإشارة إليها، وينظر في هذا بسطُ هذا الموضوع الواسع في كتاب «**زاد المعاد**» لابن القيم.

الوقفة الرَّابعة:

أنَّ الواجب على كلِّ مسلم أنْ لا ينساق مع إشاعات كاذبة؛ لأنّ بعض النّاس في مثل هـذا المقام ربّما يروِّج أمورًا أو يذكُر أشياءَ لا صِحَّةَ لهَا ولا حقيقة فيرُوج بين النّاس رعبٌ وخوفٌ وهَلَعٌ لا أساسَ له ولا مسوِّغ لوجوده، فلا ينبغي لمسلمٍ أن يَنْسَاقَ مع شائعاتٍ ونحو ذلك، فيُخلّ انسياقُه

وراءَها بتمام إيمانه وكمال يقينه وحُسْن توكله على ربِّه جل وعلا.

الوقفة الخامسة:

أنَّ المصائب التي تُصيب المسلمَ سواءً في صحّته أو في أهله وولده أو في ماله وتجارته أو نحو ذلك، إن تلقَّاها بالصَّبْر والاحتساب فإنها تكون له رِفْعَة عند الله جلّ وعلا، قال الله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوفْ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمَوَالِ وَالأنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُواْ إِنَّا للهِ وَإِنَّـا إِلَيْهِ رَاجِعونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَـئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَـئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة:١٥٥-١٥٧]، فالله تبارك وتعالى يبتلي عبده ليسمع شكواه وتضرعه ودعاءه وصبره ورضاه بما قضاه عليه؛ فهو ﷻ يرى عباده إذا نزل بهم ما يختبرهم به من المصائب وغيرها، ويعلم خائنة أعينهم وما تخفي صدورهم، فيثيب كل عبد على قصده ونيته، ولهـذا من أُصيب بشيء من المرض، أو أُصيب بشيء من الجوائح، أو نقص المال أو نحو

ذلك، فعليه أن يحتسب ذلك عند الله، وأن يتلقى ذلك بالصَّبر والرِّضا ليفوز بثواب الصَّابرين، ومن عوفي فليحمد الله ليفوز بثواب الشاكرين.

الوقفة السادسة:

أنَّ أعظم المصائب المصيبة في الدين، فهي أعظم مصائب الدنيا والآخرة، وهي نهاية الخسران الذي لا ربح معه والحرمان الذي لا طمع معه، فإذا ذكر المسلم ذلك عند مصابه في صحته أو ماله حمد الله على سلامة دينه، روى البيهقي في شعب الإيمان عن شريح القاضي ﵀ أنه قال: «**إِنِّي لأُصَابُ بِالمُصِيبَةِ، فَأَحْمَدُ اللهَ عَلَيْهَا أَرْبَعَ مَرَّاتٍ: أَحْمَدُ إِذْ لَمْ يَكُنْ أَعْظَمَ مِنْهَا، وَأَحْمَدُ إِذْ رَزَقَنِي الصَّبْرَ عَلَيْهَا، وَأَحْمُدُ إِذْ وَفَّقَنِي لِلاسْتِرْجَاعِ لِمَا أَرْجُو مِنَ الثَّوَابِ، وَأَحْمَدُ إِذْ لَمْ يَجْعَلْهَا فِي دِينِ**».

وأسأل الله أن يتولانا أجمعين بحفظه، وأن يمنَّ علينا بالعفو والعافية في ديننا ودنيانا وأهلينا ومالنا إنه سميع قريب مجيب.